رسالة شرعية عالمية

معهد المنهج الدراسي الميسر

زوائد المؤلفات على

كتب المنهج الدراسي

التحريرات العلمية

على

المنظومة الحائية

للإمام أبي بكر عبد الله بن أبي داود

رحمه الله تعالى (ت ٣١٦)

تأليف

أبي عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى



زوائد المؤلفات على
كتب المنهج الدراسي الميسر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أما بعد:

فهذا كتاب في شرح[١] قصيدة ابن أبي داود (الحائية)، وهي منظومة جميلة سهلة الألفاظ، يسيرة الحفظ لمن وفقه الله سبحانه وتعالى.

وينبغي لطالب العلم أن يحفظها، وقد نظمها ابن أبي داود ودوَّنها طلبته كالآجري وابن بطة وغيرهم، ثم شُرحت بعشرات الشروح وجعل الله سبحانه وتعالى لها قبولًا واسعًا.

أبو عبد الله المصنعي

وفقه الله تعالى

مارب ١٤٣٧ هـ

وروجع ١٤٤٤

مكة المكرمة زادها الله تعالى تشريفًا

****

(١) أصل هذا الشرح دروس صوتية ألقيت في دار الحديث بمارب ١٤٣٧ هـ، ثم فُرغت، ثم راجعتها وأصلحت ما يُحتاج إليه، والحمد لله تعالى.

ترجمة الناظم

وناظمها هو: الإمام العلامة الحافظ المحدث الكبير الملقب بشيخ بغداد، وكان رأسًا في الحنابلة، وهو أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني، ابن صاحب السنن أبي داود سليمان بن الأشعث، وسننه مشهورة بسنن أبي داود.

ومن فضل الله تعالى أن يوفق العالم بأن ينشأ من أولاده عالم، فهذا أبو داود عالم وأبو بكر ولده عالم، ثم بعد ذلك كان لأبي بكر ولد يقال له أبو معمر وكان من أهل العلم، ولم يبلغ ما بلغ أبوه وجده، لكنه كان على خير.

وأبو بكر هذا رحل به أبوه من صغره لطلب العلم، والصغير إذا تعلم وشرح الله تعالى صدره للعلم، فإنه ينشأ على حب العلم. ثم بعد ذلك تراه يتبحر لانفتاح عقله على العلم من صغره، وهذا من توفيق الله سبحانه نسأل الله تعالى من فضله.

كذلك التعلم في الصغر يجعل عقل الإنسان قويًّا حتى في شيبته، يقال: إن هذا الإمام (أبو بكر) وهو كبير يرتجف من الكِبَـر يقاد إلى المنبر فيجلس فيملي الأحاديث من حفظه، حتى ذُكر أنه رحل في بعض الرحلات فأملى سنن أبي داود كلها من حفظه، وأملى مرة نحو ثلاثين ألف حديث، فانتقدوا عليه سبعة أحاديث فرجع إلى البيت فنظر في كتابه فوجد أنهم أخطوا في نقدهم في خمسة، ولم يصيبوا إلا في حدثين، وبهؤلاء حفظ الله جل وعلا هذا الدين.

توفي هذا الإمام في القرن الرابع في (٣١٦ هـ).



القصيدة الحائية في أصول السنة

١ - تَمَسَّكْ بحَبْلِ اللهِ واتَّبِعِ الهُدَى ... ولا تَكُ بِدْعِيًّا لَعلَّكَ تُفْلِحُ
٢ - وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ والسُّنَنِ التِي ... أَتَتْ عَن رَسُولِ اللهِ تَنْجُ وَتَرْبَحُ
٣ - وَقُلْ غَيرُ مَخْلوقٍ كَلامُ مَليكِنا ... بِذَلكَ دَانَ الأتْقِيَاءُ وأَفْصحُوا
٤ - وَلاتَكُ فِي القُرْآنِ بالوَقْفِ قَائِلًا ... كَمَا قَالَ أتْبَاعُ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا
٥ - ولا تَقُلِ القُرآنُ خَلقًا قرأتَهُ ... فإنَّ كَلامَ اللهِ باللفْظِ يُوضَحُ
٦ - وَقُلْ يَتجَلَّى اللهُ للخَلْقِ جَهْرةً ... كَمَا البدْرُ لا يَخْفى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ
٧ - وَلَيْسَ بمولُودٍ وليسَ بوَالِدٍ ... وَلَيسَ لهُ شِبْهٌ تَعَالَى المسَبَّحُ
٨ - وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ هَذَا وعِنْدَنَا ... بِمِصْدَاقِ ما قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ
٩ - رَوَاهُ جَرِيرٌ عن مَقَالِ مُحَمَّدٍ ... فقُلْ مِثْلَ ما قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ
١٠ - وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ أَيضًا يَمِيْنَهُ ... وَكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ تَنْفَحُ
١١ - وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ... بِلا كَيْفَ جَلَّ الواحدُ المتَمَدَّحُ
١٢ - إلى طَبَقِ الدُّنيا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ ... فَتُفْرَجُ أَبْوابُ السَّماءِ وتُفْتَحُ
١٣ - يَقولُ: ألا مُسْتغفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا ... ومُسْتَمنِحٌ خَيْرًا ورِزقًا فيُمْنَحُ
١٤ - رَوَى ذَاكَ قَومٌ لا يُرَدُّ حَدِيثُهم ... ألا خَابَ قَوْمٌ كذَّبوهُم وقُبِّحُوا
١٥ - وَقُلْ إنَّ خَيرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... وَزِيراهُ قِدْمًا، ثُمَّ عُثْمَانُ الارْجَحُ
١٦ - ورَابِعُهُم خَيْرُ البَرِيَّةِ بَعْدَهُم ... عَلِيٌّ حَلِيفُ الخَيرِ، بالخَيرِ مُنْجِحُ
١٧ - وإنَّهُم و الرَّهْطُ لا رَيْبَ فِيْهِمُ ... عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ فِي الخُلْدِ تَسْرَحُ
١٨ - سَعِيدٌ وسَعْدٌ وابنُ عَوْفٍ وطَلْحةٌ ... وعَامِرُ فِهْرٍ والزُّبَيْرُ المُمَدَّحُ

١٩ – وَقُلْ خَيْرَ قولٍ في الصَّحَابةِ كُلِّهِمْ ... ولا تَكُ طَعَّانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ
٢٠ – فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المُبِينُ بِفَضْلِهِمْ ... وفي الفَتْحِ آيٌ لِلصَّحابةِ تَمْدَحُ
٢١ – وبِالقَدَرِ المقْدُورِ أيْقِنْ فإنَّهُ ... دِعَامَةُ عَقْدِ الدِّينِ والدِّينُ أفْيَحُ
٢٢ – وَلا تُنْكِرَنْ جَهلًا نَكِيرًا ومُنْكَرًا ... وَلا الحْوضَ والمِيزانَ إنَّكَ تُنْصَحُ
٢٣ – وقُلْ يُخْرِجُ اللهُ العَظِيمُ بِفَضْلِهِ ... مِن النارِ أجْسادًا مِن الفَحْمِ تُطْرَحُ
٢٤ – عَلَى النَّهرِ في الفِردوسِ تَحْيا بِمَائِهِ ... كَحِبِّ حَميلِ السَّيْلِ إذْ جَاءَ يَطْفَحُ
٢٥ – فإنَّ رَسُولَ اللهِ للخَلْقِ شَافِعٌ ... وقُلْ فِي عَذابِ القَبرِ حَقٌّ مُوَضَّحُ
٢٦ – ولا تَكْفُرَنَّ أهْلَ الصَّلاةِ وإنْ عَصَوا ... فكلُّهُمُ يَعْصِي وذُو العَرشِ يَصْفَحُ
٢٧ – ولا تَعتقِدْ رَأيَ الخَوارجِ إنَّهُ ... مَقَالٌ لِمَنْ يَهْواهُ يُرْدِي ويَفْضَحُ
٢٨ – ولا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ ... ألا إنَّمَا المُرْجِيُّ بالدِّينِ يَمْزَحُ
٢٩ – وقُلْ إنَّما الإيمانُ قَولٌ ونيَّةٌ ... وفِعْلٌ عَلَى قَولِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ
٣٠ – ويَنْقُصُ طَوْرًا بالمعَاصِي وَتَارةً ... بطَاعَتِهِ يَنْمَى وفي الوَزنِ يَرْجَحُ
٣١ – وَدَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ وَقولَهُم ... فَقْولُ رَسُولِ اللهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ
٣٢ – وَلا تَكُ مِن قومٍ تَلَهَّوْ بِدِينِهِم ... فَتَطْعَنَ في أَهلِ الحَدَيثِ وتَقْدَحُ
٣٣ – إذا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يا صَاحِ هذِهِ ... فَأَنْتَ عَلى خَيْرٍ تَبِيتُ وتُصْبِحُ

****

[مقدمة في التمسك بالسنة]

١ - تَمَسَّكْ بحَبْلِ الله واتَّبِعِ الهُدَى ولا تَكُ بِدْعِيًّا لَعلَّكَ تُفْلِحُ
٢ - وَدِنْ بِكِتَابِ الله والسُّنَنِ التِي أَتَتْ عَن رَسُولِ الله تَنْجُ وَتَرْبَحُ

الشرح:

١ - (تَمَسَّكْ بحَبْلِ الله) أي: اعتصم بحبل الله تعالى، وحبل الله تعالى هو الكتاب والسنة، والكتاب والسنة هو الإسلام، قال الله جل وعلا: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، وهذه الآية مثل قول الله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ فالقرآن والسنة هو الإسلام، والإسلام هو القرآن والسنة.

وإذا تمسكت بكتاب الله تعالى وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنك تكون قد تلقيت العقيدة من مصدرها العظيم الصحيح.

لو قيل: ما سبب ضلال عامة من أهل البدع؟

فالجواب: أعظم الأسباب رداءة مصادرهم، لم يتلقوا العقيدة من الكتاب والسنة.

أهل السنة ينظرون في الكتاب وفي السنة ثم يعتقدون، القاعدة: [استدل ثم اعتقد]، وأهل البدع يعتقدون ثم يبحثون في الكتاب والسنة عن دليل أو شبهة دليل، فإن وجدوا دليلًا يصلح عندهم لتحريفه ليوافق أهواءهم، وإلا زرعوا الشُّبه.

قوله: (واتَّبِعِ الهُدَى) الاتباع: الموافقة والعمل على ما ورد في الأمر المتبع عليه.

قال بعض اهل العلم: التقليد يكون بلا علم، والاتباع يكون بعلم.

الهدى هو: معرفة الحق والعمل به. هكذا عرفه ابن عبد البر وابن القيم رحمها الله تعالى.

معرفة الحق وهذا يشمل العلم، والعمل به.

فالعلم النافع هو المقرون بالعمل، وإذا كان العلم خاليًا من العمل فهذه طريقة المغضوب عليهم، يعلمون ثم ينحرفون ولا يعملون.

قوله: (ولا تَكُ بِدْعِيًّا) لا تكن صاحب بدعة، البدعة في اللغة: ما أحدث على غير مثال سابق.

وفي الاصطلاح، هي: ما لم يشرعه الله عز وجل من العبادات والاعتقادات ونحوها.

فمحل البدعة الإحداث في الدين لا في الدنيا، أما الدنيا التي لا تخالف الشرع فإن سميت بالبدعة فإنما هي بدعة لغوية، أما الإحداث في العقائد والعبادات فتلك البدعة المذمومة شرعًا.

قوله: (لَعلَّكَ تُفْلِحُ) أي: لعلك تفوز في الدنيا والآخرة.

وفي قوله: (ولا تَكُ بِدْعِيًّا) فائدة عظيمة وهي: أن المسلم لا يكون سنيًّا إلا إذا تبرأ من البدع وأهلها، كما أن المسلم لا يكون موحدًا حتى يتبرأ من الشرك وأهله.

هنا مسألة مهمة نذكرها لأهميتها، ما هي؟

متى يخرج المسلم من السنة الى البدعة؟ هذه المسألة إذا فهمتها فقد فهمت خيرًا كثيرًا وعلمًا دقيقًا.

نحن نقول: فلان من أهل السنة والجماعة. إذًا عندنا أمران السنة والجماعة.

أما السنة فيراد بها في هذا الموضع العقيدة الصحيحة، فمن خالف العقيدة الصحيحة خرج من السنة كأن يكون على عقيدة المعتزلة، أو على عقيدة الأشاعرة، أو على عقيدة الحزبيين، أو عقيدة الصوفية، أو عقيدة الرافضة...

يخرج عن العقيدة الصحيحة إلى غيرها، ثم يُصرُّ عليها ويوالي ويعادي من أجلها.

أولًا: يخالف العقيدة الصحيحة.

ثانيًا: يصر ويستمر على البدعة.

ثالثًا: يعقد الولاء والبراء عليها.

فهذا هو المبتدع الذي لا يرتاب في بدعته.

٢- قوله: (وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ) من أدان يَدين ونَدين. تقول: نَدين الله تعالى بكذا، ولا تقل نُدين بضم النون،. هناك فرق بين نَدين ونُدين. بالفتح نتدين ونعتقد، وبالضم بمعنى نتهم.

وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ: أي تدين وأقم دينك على كتاب الله تعالى، وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولا تُقِم دينك على الهوى، ولا تقم دينك على أصول أهل البدع، بل أقم دينك على كتاب الله سبحانه وعلى ما جاء في سنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

قوله: (والسُّنَنِ التِي أَتَتْ عَن رَسُولِ اللهِ) السنن: الأحاديث، والأحاديث التي صحت بأنواعها حجة في العقيدة والأحكام.

قوله: (تَنْجُ وَتَرْبَحُ) تنجو في الدنيا من البدع ومن الشرك والمعاصي.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: كلما كان العبد لرسول الله أتبع كان أكمل توحيدًا.

فالنجاة في الدنيا من الشرك من البدع ومن المعاصي تكون بقدر تدينك وإقامتك لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وتنجو في الآخرة من عذاب الله سبحانه وتعالى.

وتربح في الدنيا الحياة الطيبة والموت على السنة، وهو ربح عظيم وفوز كريم.

وتربح في الآخرة جنة عرضها السماوات والأرض.

ولا شك أن هذا هو الفوز والربح العظيم.

❊❊❊❊

[كلام الله تعالى]

٣ - وَقُـلْ غَـيْرُ مَخْلُـوقٍ كَـلامُ مَلِيكِنـا ... بِـــذَلكَ دَانَ الأَتْقِيَـــاءُ وأَفْصَـــحُوا
٤ - وَلاتَـكُ فِي القُـرآنِ بِـالوَقْفِ قَـائِلًا ... كَـمَا قَـالَ أَتْبَـاعٌ لِجَهْـمٍ وَأَسْـجَحُوا
٥ - ولا تَقُـلِ القُـرآنُ خَلقًـا قرأتَـهُ ... فَــإِنَّ كَـلامَ اللهِ بِـاللَّفْظِ يُوضَـحُ

الشرح:

٣- قوله: (وَقُلْ) قول واعتقاد، قل بلسانك واعتقد بقلبك، فيشمل القول والاعتقاد.

قوله: (غَيرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا) كلام الله سبحانه وتعالى غير مخلوق، وهذا أجمع عليه أهل السنة والجماعة.

وكان السلف يقولون: القرآن غير مخلوق. وكلام الله غير مخلوق.

وأما بالنسبة للصحابة والتابعين فإنهم كانوا يقولون القرآن كلام الله تعالى.

لكن لما ظهرت الجهمية كانوا يقولون: القرآن كلام الله مخلوق.

فأراد السلف أن يردوا عليهم فزادوا كلمة (غير مخلوق) فهذه الزيادة وهي (غير مخلوق) أُحتيج إليها لبيان الحق، والرد على أهل الباطل.

قوله: (مَليكِنا) المليك من أسماء الله سبحانه. قال الله تعالى: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾.

قوله: (بِذَلكَ دَانَ الأَتْقِياءُ وأَفْصحُوا) دان من تَديَّن، أي: نعتقد، بذلك اعتقد الأتقياء.

والأتقياء جمع تقي، والتقي هو: الذي يعمل بطاعة الله تعالى ويجتنب معصيته تعبدًا.

ما معنى تعبدًا؟ أي: رغبة فيما عند الله سبحانه وحذرًا من عذابه سبحانه وتعالى.

هذه العقيدة التي أقام السلف عليها دينهم، وقد ذكر عبد الله بن أحمد واللالكائي إجماع العلماء على ذلك، ونقلوا الإجماع أيضًا أن من قال: القرآن مخلوق أنه كافر.

وقد حاول ابن الوزير رحمه الله تعالى أن يرد على دعوى الإجماع، لكن الصواب مع من نقل الإجماع قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾

فلصراحة الدلالة أفصح السلف وصرحوا بأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق. والله جل وعلا يقول: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكلِيمًا﴾، وأيضًا ربنا جل وعلا يقول: ﴿ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللهُ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ من سيقول هذا غير ربنا سبحانه وتعالى؟ وقال الله كما في سورة طه ﴿ إِنِّيَ أَنَا رَبُّكَ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾، ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، ﴿أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، فمثل هذه الألفاظ دليل على أنه كلام الله سبحانه، لا كلام غيره.

وفي الحديث المتواتر : عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه وغيره أَنَّ رَسُولَ الله ﷺقَالَ « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ».

من يقول هذا إلا ربنا سبحانه.

وكذلك حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه في الصحيح، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ".

فهذا كلام الله تعالى، والقرآن الكريم من كلام الله تعالى، فإذا قرأت ﴿الم﴾ هذه حروف وكذلك كلمات، فكلام الله تعالى حروف وكلمات.

٤ – قوله: (وَلاتَكُ فِي القرآنِ بالوَقْفِ قَائِلًا) ينهاك أن تقف في القرآن الكريم.

ما هو الوقف؟ نسبة إلى طائفة تسمى الواقفة، وهذه الواقفة لما ذل الجهمية في زمن الإمام أحمد بن حنبل وخافوا أن يقولوا: القرآن مخلوق. فلجؤوا إلى عبارة مجملة، فقالوا: القرآن كلام الله. فقيل لهم: قولوا غير مخلوق. فقالوا: نتوقف في هذه الزيادة، فلا نقول مخلوق ولا نقول غير مخلوق.

وهؤلاء في الحقيقة إنما أرادوا أن يحيوا مذهب الجهمية لكن بأسلوب ماكر، ولذلك قال الإمام أحمد: الواقفة جهمية. يعني: منهم وإنما يتسترون.

ولما ذكرهم شيخ الإسلام قال: إنهم من شر الطوائف.

فهؤلاء من المذبذبين بين أهل الحق وأهل الباطل، وهم الذين يجرجرون من قدروا عليه من أهل الحق إلى أهل الباطل، فهم سُلَّم بين الفريقين.

قوله: (كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ) جهم بن صفوان السَّمَرقندي كان في زمن أتباع التابعين، وكان زنديقًا أظهر الإسلام وأراد بذلك أن يطعن في الإسلام بطريقة خفية، كما فعل عبد الله بن سبأ، وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أن جميع الطوائف أسسها أهل الأهواء إلا الرافضة والجهمية والصوفية فإنما أسسها أهل الزنادقة.

وهذا الجهم كان من الدهاة، لم يكن بليدًا بل كان داهية.

قال الذهبي وكذلك شيخ الإسلام رحمهم الله تعالى: وغالب رؤوسِ أهل البدع دهاة.

ولذلك يجرون الناس ورآهم وهذا المذهب الرديء أخذه الجهم من ملاحدة السُمنية والمجوسية، ثم أراد أن ينفي كلام ربنا سبحانه وتعالى ليعطل شرعه.

ذكر هذا شيخ الإسلام وأنه بهذا أراد أن ينفي كلام الله سبحانه وتعالى ليمحي أدلة إثبات وجوده تعالى، وكذلك شريعة الإسلام.

بأي شيء تثبت هذا الدين؟ بكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

فإذا نفى كلام الله تعالى لم يبق دين.

فانظر الى هذا المكر الخطير.

(كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهمٍ) إذًا الواقفة من أتباع جهم.

(وَأَسْجَحُوا) أي لانوا ومالوا إلى هذه العقيدة الفاسدة، وجنحت إليها قلوبهم وأهواؤهم.

٥- قوله: (ولا تَقُلِ القرآنُ خَلقًا قرآتَهُ) هذه أيضًا بدعة أخرى كان يقولها بعض الجهمية، فإذا سألته: ما تقول في القرآن الكريم؟ فيقول: القرآن كلام الله، لكن قراءتي مخلوقة.

وبعضهم يقول: تلاوتي مخلوقة وألفاظي مخلوقة. يأتي بالكلام المجمل.

وقد ذكر ابن القيم: أن من عادة أهل البدع أنهم يأتون بالكلمات المجملة التي تمكنهم من إدخال البدع من خلالها.

فهذا الكلام المجمل (قراءتي مخلوقة) ونحوها، قد يراد بها المقروء وهو القرآن الكريم، وقد يراد بها الصوت، فهي تحتمل حقًّا وباطلًا، والمبتدع ما سيأتي بها من أجل الحق؛ لأنه لو أراد الحق لجاء باللفظ الصحيح الصريح، إنما جاء بالمجمل من أجل التلبيس.

ولو أن الناس الذين يريدون الشر جاءوا به واضحًا ما قبله أحد، لكن يلبسون الحق بالباطل كعادة اليهود، ومن ادعى العلم وهو من أهل الضلال فإنما يسير على عادة اليهود.

لكن إذا صرح المسلم بالمعنى فقال: القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، لكن صوتي مخلوق.

هذا الكلام صحيح، الصوت صوت القاري، والكلام كلام الباري.

إلا أن ترك هذه العبارات أحسن، وقد شغبوا على البخاري رحمه الله تعالى بسبب ذلك.

قوله: (فإنَّ كَلامَ اللهِ باللفْظِ يُوضَحُ) أي: إن كلام الله تعالى لفظه ومعناه من الله تعالى غير مخلوق، فاللفظ يوضح المعنى، فكلام الله سبحانه وتعالى هو اللفظ والمعنى .

أما أهل البدع من المعتزلة فيقولون كلام الله هو اللفظ فقط، لأنه عنده مخلوق والأشاعرة يقولون كلام الله هو المعنى فقط، لأن كلام الله تعالى عندهم نفساني، أي: حديث نفس.

تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، والله المستعان.

****

[رؤية الله تعالى في الآخرة]

٦ - وَقُـلْ يَـتَجلَّى اللهُ للخَلْـقِ جَهْـرةً ... كَـمَا البـدْرُ لا يَخْفـى وَربُّـكَ أَوْضَـحُ
٧ - ولَـيْسَ بمولُـودٍ ولـيسَ بِوَالِـدٍ ... وَلَـيسَ لـهُ شِـبْهٌ تَعَـالَى المسَـبَّحُ
٨ - وَقَـدْ يُنكِـرُ الجَهْمـيُّ هَـذَا وعِنْـدَنَا ... بِمِصْـدَاقِ مـا قُلْنَـا حَـدِيثٌ مُصَـرِّحُ
٩ - رَوَاهُ جَرِيــرٌ عــن مَقَــالِ مُحَمَّــدٍ ... فقُـلْ مِثْـلَ مـا قَـدْ قَـالَ في ذَاكَ تَـنْجَحُ

الشرح:

٦- قوله: (وَقُلْ) أيها السني (يَتَجلَّى اللهُ) أي: يظهر ويُرى وجهه الكريم.

(للخَلْقِ جَهْرةً) أي: للخلق الموحدين من الجن والإنس، فقوله: (للخلق) هذا من العام الذي يراد به الخصوص، فإنما يرى الله سبحانه وتعالى من الجن والإنس أهل التوحيد فقط، وأما الكفار فإن الله جل وعلا قد قال فيهم: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، والقول بأن الكفار يرون الله تعالى رؤية غضب قول ضعيف.

قوله: (جَهْرةً) أي: ظاهرًا عيانًا فيرونه واضحًا بأعينهم لا يحجبه عنهم شيء، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام سئل: يا رسول الله هل نرى ربنا؟ قال: (نعم كما ترون القمر ليس دونه سحاب).

قوله: (كَمَا البدْرُ لا يَخْفى) البدر هو القمر في ليلة أربعة عشر، يستكمل حجمه وكذلك يستنير أكثر في هذه الليلة، ويراه جميع الناس، إذا لم يوجد سحاب فلا يخفى على أحد من الناس.

قوله: (وَربُّكَ أَوْضَحُ) ورؤية الله عز وجل أوضح وأيسر من رؤيتهم للقمر، وهذا من باب تشبيه الرؤية بالرؤية، كما أنك ترى القمر واضحًا فإنك ترى الله سبحانه وتعالى في الآخرة أوضح من رؤيتك للقمر.

والرؤية ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع قال الله جل وعلا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ أي: جميلة حسنة ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: تنظر إلى الله تعالى بأعينها.

ومن السنة حديث جرير الآتي.

والإجماع نقله عدد من أهل العلم، ولم يخالف في ذلك إلا بعض أهل البدع.

٧- قوله: (وَلَيْسَ بمْولُودٍ وليسَ بِوَالِدٍ) ليس بمولود: فليس له والد ولا والدة، وليس بوالد: أي: ليس له أولاد؛ لكمال صفاته وغناه سبحانه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ(١) اللهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾.

قوله: (وَلَيسَ لهُ شِبْهٌ تَعَالَى المسَبَّحُ) أي: ليس له نظير وليس له مماثل، تعالى الله سبحانه وتعالى المسبح المنزه عن التمثيل والتعطيل وعن كل عيب ونقص، فهو منزه سبحانه عن العيوب لكماله وغناه تعالى، قال الله جل وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ليس كمثله شيء نفي للمماثلة وهو السميع البصير إثبات للصفات، فيستفاد منها أن إثبات الصفات لا يلزم منه المماثلة.

ولماذا ذكر المؤلف هذا البيت بعد الرؤية؟ أراد أن يقول لمن ينفي الرؤية: إن إثبات الرؤية والصفات لا يلزم منه التمثيل؛ لأن الله سبحانه وتعالى ليس له مثيل وليس له نظير.

والتعبير بالشِّبْه استعمله جماعة من السلف، لكن الوارد في القرآن هو نفي التمثيل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ فلو قال: (وَلَيسَ لهُ مِثلٌ) لكان هذا اللفظ موافقًا لما ورد في القرآن الكريم، والخطب في ذلك يسير لأن مقصوده نفي التمثيل.

٨- قوله: (وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْميُّ هَذَا) وقد ينكر من يعتقد العقيدة الجهمية، ومن يتبع جهمًا والمعطلة في أقوالهم ومعتقداتهم الفاسدة، ينكر الرؤية ويقول: إن الله تعالى لا يُرى في الآخرة.

قوله: (وَعِندَنا بِمِصْدَاقِ ما قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَـرِّحُ) يقال لهم: عندنا بما قلنا من هذه العقيدة الصحيحة حديث صحيح مصرح بأن المؤمنين الموحدين يرون الله سبحانه وتعالى.

٩- (رَوَاهُ جَرِيرٌ عن مَقَالِ مُحَمَّدٍ) رواه جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، من أهل اليمن عن نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهذا الحديث إسناده صحيح إلى جانب أنه في الصحيحين، وله طرق وكذلك شواهد تصل إلى حد التواتر.

ومما تواتر حديثنا كـذب ... ومن بنى لله بيتًا واحتسب

شفاعة ورؤية والحوض ... ومسح خفين وهذي بعض

حديث جرير في الصحيحين عن قَيْسِ بْنِ أَبِى حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ الله وَهُوَ يَقُولُ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: (أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لاَ تُضَامُّونَ فِى رُؤْيَتِهِ، ...).

الحديث صحيح وصريح.

قوله: (فقُلْ مِثْلَ ما قَدْ قَالَ) فقل واعتقد أيها المسلم وأيها السني، يا من تريد العقيدة الصحيحة، قل مثلما قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(في ذَاكَ) في الرؤية وفي الصفات والعقيدة.

(تَنْجَحُ) أي: تظفر بالصواب والسلامة من التخبط في الدنيا، وتظفر بالجنة والرضوان وبرؤية الله عز وجل في الآخرة.

والذين ينكرون رؤية الله سبحانه وتعالى يتأولون هذه الأدلة بتأويلات فيها تعسف، وفيها تكلف، وفيها عناد وتكبر عن الحق، واتباع لأفكار الفلاسفة.

ويخشى على من ينكر الرؤية ألا يرى الله سبحانه وتعالى في الآخرة.

كيف يسوي بين الكفار وبين المؤمنين، فالكفار يحجبون، والمؤمنون لا يحجبون، وهذا الضال يريد أن يجعل المسلمين في منزلة الكفار لا يرون الله سبحانه وتعالى.

فالحمد لله تعالى، وما أحسنَ ما قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

فاحمد إلهك أيها السني إذ　　　عافاك من تحريف ذي بهتان

فالسني ينبغي له أن يحمد الله سبحانه وتعالى ليلًا ونهارًا على التوفيق إلى العقيدة الصحيحة.

نسأل الله عز وجل لذة النظر إلى وجهه الكريم

والشوق إلى لقائه في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة.



[إثبات صفة اليدين لله تعالى]

١٠ - وَقَـدْ يُنكِـرُ الجَهْمِـيُّ أَيضًـا يَمِيْنَـهُ   وَكِلْتَـا يَدَيْــهِ بالفواضِــلِ تَــنْفَحُ

الشرح:

١٠ - هذا البيت أراد به المؤلف إثبات صفة اليدين لله جل وعلا كما يليق بجلاله سبحانه، وهو بذلك يشير إلى إثبات الصفات الخبرية، كالوجه والأصابع والعينين والساق والقدم وما أشبه ذلك.

وهذه الصفات ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

قوله: (وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ أَيضًا يَمِيْنَهُ) (قد) هنا للتحقيق، والجهمي نسبة إلى الزنديق جهم بن صفوان، إلا أن السلف يكثرون من إطلاق هذه الألفاظ على المعتزلة أيضًا؛ لاشتراكهم مع الجهمية في إنكار الصفات، بل الغالب في كلام العلماء من أواخر القرن الثاني كأحمد والدارمي ومن بعدهم أن مقصودهم بالجهمية المعتزلة، لأن الجهمية الأولى انقرضت قبل هذا الوقت.

قوله: (يَمِيْنَهُ) يمين الله سبحانه وتعالى، أي يديه. كما في صحيح مسلم من حديث عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله –صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ الله عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِى حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا ».

وفي هذا الحديث أن لله سبحانه وتعالى يدين اثنتين، وهذا حق بإجماع أهل السنة.

وهو ظاهر القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾.

وقوله (وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ) أراد بذلك إثبات الكمال لليدين معًا، حتى لا يتوهم شخص أن الأخرى فيها نقص.

وقال بعض أهل العلم: يمر هذا الحديث على ظاهره، ولا نكيف، فنقول: لله تعالى يدان وكلتا يديه يمين كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى، ولا توصف الأخرى بأنها شمال.

وقال آخرون: بل لله تعالى يمين وشمال كما يليق بجلاله، وكلاهما صفة كمال، وحديث ابن عمرو محمول على نفي النقص، وهذا أقرب لثبوت لفظ الشمال في الأدلة، ومنها حديث ابن عمر مرفوعًا في صحيح مسلم: « يَطْوِى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ثُمَّ يَطْوِى الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ »، وله شواهد صحيحة، ونفي الشمال لا معنى له بعد إثبات الكمال لجميع صفاته تعالى.

قوله: (وَكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ تَنْفَحُ) الفواضل جمع فاضله وهي الخير والعطاء والأرزاق. تنفح، أي: تعطي. وهذا كقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « يَمِينُ اللهِ مَلأَى لاَ يَغِيضُهَا سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُذْ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِى يَمِينِهِ ». وقَالَ: «وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الْقَبْضُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ ». رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ومعنى: سحاء: دائم العطاء وكثير الجود.

وهذه الأوصاف لليد: القبض والبسط والطي والكتابة والنفقة و...، تدل على أنها صفة حقيقية لله تعالى، ولا يصح إطلاق المجاز عليها، وذكر بعض مشايخنا أن صفات اليد لله تعالى في الكتاب والسنة أكثر من مائة صفة.

وقد أنكر بعض أهل البدع صفة اليدين والوجه ونحوها، وتأولوها بالنعمة أو بالقدرة، كما يقول متأخرو الأشاعرة، وهذا مخالف لظاهر الكتاب والسنة ولإجماع سلف الأمه وهو تأويل ليس عليه دليل صحيح.



[إثبات صفة النزول لله تعالى]

١١ - وَقُـلْ يَنْـزِلُ الجَبَّـارُ في كُـلِّ لَيْلَـةٍ	بِـلا كَيْـفَ جَـلَّ الواحِـدُ المتَمَـدَّحُ
١٢ - إلى طَبَـقِ الـدُّنيا يَمُـنُّ بِفَضْـلِهِ	فَتُفْـرَجُ أَبْـوابُ السَّـماءِ وتُفْـتَحُ
١٣ - يَقـولُ: ألا مُسْـتغفِرٌ يَلْـقَ غَـافِرًا	ومُسْـتَمنِحٌ خَـيْرًا ورِزقًـا فيُمْـنَحُ
١٤ - رَوَى ذَاكَ قَـومٌ لا يُـرَدُّ حَـدِيثُهم	ألا خَـابَ قَـوْمٌ كـذَّبوهُم وقُبِّحُـوا

الشرح:

١١- قوله: (وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ) قل أيها السني واعتقد ثبوت صفة النزول لله سبحانه وتعالى، وصفة النزول ثابتة في السنة المتواترة، وأجمع عليها أهل السنة والجماعة، فقد جاء عن أكثر من خمسة وعشرين صحابيًّا ومنهم أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ). متفق عليه.

والنزول من الصفات الفعلية.

وصفات ربنا جل وعلا على ثلاثة أنواع:

ذاتيه خبرية كالوجه واليدين والعينين ونحوهما وهذه لا تتعلق بالمشيئة.

وذاتية كالعلم والعظمة والحكمة والقدرة ونحوها، وهذه أيضًا لا تتعلق بالمشيئة.

وذاتية فعلية، وهي المتعلقة بالمشيئة، كالضحك والمحبة والرضا والكلام وكالنزول والاستواء والمجي والاتيان ونحوها.

فنقول ينزل الله جل وعلا متى شاء كيف شاء، وكصفه الكلام فإن الله عز وجل موصوف بالكلام يتكلم متى شاء كيف شاء، وكذلك الغضب يغضب متى شاء على من شاء، والرحمة يرحم من شاء كيف شاء، وما أشبه ذلك من الصفات الذاتية المتعلقة بالمشيئة.

وأيضًا من الصفات الذاتية ما يتجدد ولا يتعلق بالمشيئة كالعلم والبصر والسمع قال الله جل وعلا: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ وقال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ﴾ وقال عز وجل لموسى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾.

فالله جل وعلا موصوف بهذا الصفات أولًا وأزلًا، وهذه الصفات تتجدد بتجدد آثارها، فإن الله عز وجل علم أزلًا من هو المجاهد والصادق ومن هو المنافق، ثم وضع الابتلاء حتى يظهر الصادق من الكاذب، فقوله جل وعلا: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾ المعنى حتى نعلم علم مشاهدة، وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أن هذا التجدد لا ينافي العلم السابق لله تعالى، وهو أيضًا كمالٌ على كمال، ومعلوم أن صفات الله تعالى تتفاضل.

وتنكر الأشاعرة هذه الصفات، وتقول هي أزلية لا تتجدد.

وقولهم هذا يخالف الكتاب ويخالف السنة والسلف.

قوله: (بِلا كَيْفَ) أي: بلا كيفيه نعلمها، لكن لصفات ربنا جل وعلا كيفيه يعلمها هو سبحانه وتعالى، كما قال عز وجل: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾.

(جَلَّ) أي: عظُم وتعالى.

(الواحدُ المتَمَدَّحُ) الواحد في ربوبيته، الواحد في ألوهيته، الواحد في أسمائه وصفاته.

والمتمدح أي: الممدوح بكماله وجلاله وصفاته وأسمائه.

١٢- (إلى طَبَقِ الدُّنيا) أي: إلى سماء الدنيا.

(يَمُنُّ بِفَضْلِهِ) أي: يعطي ويجود بنعمه وكرمه سبحانه وتعالى.

(فَتُفْرَجُ أَبْوابُ السَّماءِ وتُفْتَحُ) هذا ورد في حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عند أحمد وغيره والحديث يصححه العلامة الألباني وغيره، ولفظه: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ ثُلُثَ اللَّيْلِ الْبَاقِي، ثُمَّ يَهْبِطُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: أَلَا عَبْدٌ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ حَتَّى يَسْطَعَ الْفَجْرُ).

١٣- قوله: (يَقولُ: ألا مُسْتغفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا) أي: من يطلب مغفرتي فأغفر له.

(ومُسْتَمنِحٌ خَيْرًا ورِزقًا فيُمْنَحُ) أي: من يطلب المِنح وهي العطايا المذكورة في الحديث وغيرها، فإن الله عز وجل يرزقه ويمنحه.

١٤- قوله: (رَوَى ذَاكَ قَومٌ لا يُرَدُّ حَدِيثُهم) من الثقات الأثبات من أهل الحديث، وكذلك الحديث جاء من طرق متواترة، فهي عقيدة مبنية على أدلة صحيحة لا مطعن فيها.

(ألا خَابَ قَوْمٌ كذَّبوهُم) أي: خسروا وندموا، وهؤلاء القوم هم المنكرون للصفات الفعلية وهم المعتزلة والأشاعرة، ومن لف لفيفهم.

وتأويل الصفات وكذلك تعطيلها بالكلية نوع من التكذيب، ومن الإلحاد في صفات ربنا سبحانه.

(وقُبِّحُوا) أي: قبحهم الله تعالى، وأبعدهم وأخزاهم، وهذه الكلمة يراد بها الذم.

****

[العقيدة الصحيحة تجاه الصحابة رضي الله عنهم]

١٥ - وَقُـلْ إنَّ خَـيْرَ النَّـاسِ بَعْـدَ مُحَمَّـدٍ وَزِيـرَاهُ قِـدْمًا، ثُـمَّ عُـثْمَانُ الارْجَـحُ

١٦ - وَرابِعُهُـم خَـيْرُ البريَّـةِ بَعْـدَهُم عَـلِيٌّ حَليـفُ الخَـيرِ، بـالخَيرِ مُـنْجَحُ

١٧ - وإنَّهُـمُ و الـرَّهْطُ لا رَيْـبَ فِـيْهِمُ عَلَى نُجُـبِ الفِـرْدَوْسِ في الخُلْـدِ تَسْـرَحُ

١٨ - سَعِيدٌ وسَعْدٌ وابنُ عَـوْفٍ وطَلْحـةٌ وعَـامِرُ فِهْـرٍ والـزُّبَيْرُ المُمَـدَّحُ

١٩ - وَقُلْ خَيْرَ قولٍ في الصَّـحَابَةِ كُلِّهِـمْ ولا تَـكُ طَعَّانًـا تَعِيْـبُ وَتَجْـرَحُ

٢٠ - فَقَدْ نَطقَ الـوَحْيُ المُبِيـنُ بِفَضْـلِهِمْ وفي الفَـتْحِ آيٌ لِلصَّـحابةِ تَمْـدَحُ

الشرح:

هذه الأبيات في بيان عقيدة أهل السنة تِجاه الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

١٥- (وَقُلْ) وقل أيها السني واعتقد.

(إنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ) خير الناس من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الصحابة بالإجماع.

وهل هم من خير الناس بعد الأنبياء مطلقًا يعني من جميع الأمم؟

الذي نعتقد أن الصحابة أفضل الناس مطلقًا، وهذا الحكم من حيث الجملة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾

أما على جهة التعيين: فقد يوجد في الأمم السابقة أفراد أفضل من أفراد بعض الصحابة، كأن تقول: مريم ابنة عمران أفضل من أم سلمة زوجة النبي عليه الصلاة والسلام، وأم سلمة من أمة محمد عليه الصلاة والسلام، ومريم من الأمم السابقة.

قوله: (وَزِيراهُ قِدْمًا) وزيراه: مُعيناه وناصراه.

قِدْمًا: أي: من أول الدعوة إلى الإسلام .

أما أبو بكر فهو أول الناس إسلامًا، وأما عمر فإنه أسلم متأخراً قليلاً، لكنه مع ذلك ناصر وأعان في نشر هذا الدين، ولازم النبي عليه الصلاة والسلام كملازمة الوزير.

وأبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما هما أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام من جميع الأمم مطلقًا جملة وتفصيلًا.

وقد جاء عند أحمد وغيره أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (أبو بكرٍ وعمرُ سيِّدا كُهولِ أهلِ الجَنَّةِ منَ الأوَّلينَ والآخِرينَ، ما خلا النَّبيِّينَ والمُرسَلينَ) وهذا الحديث صححه العلامة الألباني رحمه الله تعالى، وهو يدل على أفضلية العمرين مطلقًا.

وهكذا نقول في عثمان وعلي، فهما أفضل الناس بعد الأنبياء وبعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعًا، فليس في الأمم كلها مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي.

قوله: (ثُمَّ عُثْمَانُ الارْجَحُ) ثم عثمان أرجح في الفضائل من علي رضي الله تعالى عنهما، وقد وجد عند بعض التابعين وأتباعهم شيء من الخلاف في ذلك، فالجمهور أن عثمان أفضل، وغير الجمهور على تفضيل علي، وهؤلاء قلة ثم انقرض هذا المذهب، وصار بعض السلف يصرح أن من قدَّم عليًّا على عثمان فهو شيعي.

وهذه المسألة لا يضلل المخالف فيها إن كان ما قاله عن اجتهاد، مع حبٍّ لجميع الصحابة وعدم التنقص لأحدٍ منهم.

١٦- قوله: (وَرابِعُهُم خَيْرُ البرِيَّةِ بَعْدَهُم عَلِيٌّ) أي خير خلق الله عز وجل بعد الثلاثة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قوله: (حَليفُ الخَيرِ) أي ملازم للخير ولفعل الخير.

قوله: (بالخَيرِ مُنْجَحُ) أي: يظهر بالخير في جميع أموره أو في أكثرها، وهؤلاء الأربعة فضائلهم في الكتاب والسنة كثيرة، معلومة مشهورة.

١٧- (وإنَّهمُ): أي: الخلفاء الأربعة.

قوله: (والرَّهْطُ) أي: الذين سيأتي ذكرهم، وكلمة (الرَّهْط) يراد بهم الجماعة من ثلاثة إلى تسعة.

قوله: (لا رَيْبَ فِيْهِمُ) أي: لا شك في فضلهم ومكانتهم في هذه الأمة.

قوله: (عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ في الخُلْدِ تَسْـرَحُ) أي: على خيل ونُوق عظيمة حسنة في جنة الفردوس تسرح بهم حيث شاؤوا، وهذا مأخوذ من قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين سئل: هَلْ فِي الجَنَّةِ مِنْ خَيْلٍ؟ قَالَ : (إِنِ أَدْخَلَكَ اللهُ الجَنَّةَ ، فَلَا تَشَاءُ أَنْ تُحْمَلَ فِيهَا عَلَى فَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ يَطِيرُ بِكَ فِي الجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتَ إِلَّا فعلتَ) هذا الحديث حسنه الألباني رحمه الله تعالى بمجموع طرقه، وبعض العلماء تكلم في إسناده.

فإن صح الحديث فلا مانع من ذلك فنعيم الجنة واسع.

وتصحيح الألباني رحمه الله تعالى معمول به لأنه ثقة ثبت، وخبر الثقة مقبول.

قوله: (سَعِيدٌ وسَعْدٌ وابنُ عَوْفٍ وطَلْحَةٌ) سعيد بن زيد بن عمرو، وسعد هو ابن أبي وقاص، وابن عوف عبد الرحمن بن عوف، وطلحه هو ابن عبيد الله.

قوله: (وعَامِرُ فِهْرٍ والزُّبَيْرُ) عامر هو أبو عبيدة بن الجراح من بني فهر من قريش، والزبير يعني ابن العوام.

قوله: (المُمَدَّحُ) أي: الممدوح بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لكل نبي حواري، وحواري الزبير بن العوام).

١٩- (وَقُلْ خَيْرَ قولٍ في الصَّحَابةِ كُلِّهِمْ) قل قولًا خيِّرًا حسنًا جميلًا في العشرة المبشرين بالجنة، وفي سائر الصحابة، وهذه عقيدة أهل السنة، فإن الله جل وعلا قال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال في أصحابه: (فلوْ أنَّ أحَدَكُمْ أنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، ما بَلَغَ مُدَّ أحَدِهِمْ ولا نَصِيفَهُ). لم يبلغ أجره كأجر المد الذي ينفقه الصحابي، فلا يجوز التعرض لهم بما يدل على تنقصهم، فإنهم حملة الدين، فإذا أبطلنا حملة الدين فقد أبطلنا الدين.

والرافضة عند أن اختاروا مسألة الطعن في الصحابة؛ إنما اختاروها بقصد إبطال هذا الدين، فجاء قوم من الجهال والحمقى فتأثروا الرافضة ولم يعرفوا مغزاهم.

قوله: (ولا تَكُ طَعَّانًا) طَعَّانًا: كثير الطعن.

قوله: (تَعِيْبُ) تذكر عيوبهم وأخطاءهم.

قوله: (وَتَجْرَحُ) تقدح عدالتهم ومنازلهم، فإن هذا من الذنب العظيم، ومن طعن الصحابة كلهم أو في جمهورهم بالكفر أو بالفسق فقد كفر، قال شيخ الإسلام: فهو كافر بالإجماع. كما في آخر الصارم المسلول.

٢٠- (فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المُبِينُ بِفَضْلِهِمْ) جاء القرآن الكريم والسنة الصحيحة بأدلة واضحة بينة في فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ).

قوله: (وفي الفَتْحِ) في سورة الفتح.

قوله: (آيٌ) جمع آية.

قوله: (لِلصَّحابةِ تَمْدَحُ) عدد من الآيات تمدح الصحابة قال الله جل وعلا: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الآيات إلى آخر السورة، وفيها مدح عظيم لأصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ورضي الله عنهم، فالذي يطعن فيهم إنما يدلنا على خبث معتقده، ونفاق في قلبه، كما قال الطحاوي رحمه الله تعالى: "وبغضهم نفاق وكفر وطغيان"



[الإيمان بالقدر والحوض والميزان]

٢١ - وبِالقَــدَرِ المقْـدُورِ أيْقِـنْ فإنَّــهُ دِعَامَــةُ عَقْـدِ الــدِّينِ والــدِّينُ أفْـيَحُ

٢٢ - وَلا تُنْكِـرَنْ جَهـلًا نَكِـيرًا ومُنْكَـرًا وَلا الحَـوضَ والمِيــزانَ إنَّــكَ تُنْصَــحُ

الشرح:

٢١- قوله: (وبِالقَدَرِ) القدر: تقدير الله تعالى للأشياء وكتابته وارادته لها وايجادها في الوقت الذي قدره.

فالقدر: هو أن الله جل وعلا قدر الأشياء كما سبق في علمه عز وجل، وكتبها في اللوح المحفوظ، وأرادها كونًا (المشيئة)، ثم أوجدها على ما قدرها وهذا هو الخلق.

فهذه هي مراتب القدر الأربع:

المرتبة الأولى: (العلم): قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

ولم ينكر هذا إلا غلاة القدرية، وهم كفار بالإجماع.

المرتبة الثاني: (الكتابة): وهي كذلك من أنكرها كفر بالإجماع، ﴿ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾

المرتبة الثالثة: (المشيئة): الإيمان بعموم مشيئة الله سبحانه وتعالى، فإن من الطوائف تؤمن بالمشيئة، لكن لا يؤمنون بعموم المشيئة، فيقولون: شاء الخير ولم يشأ الشر.

كما تقول القدرية المعتزلة.

أما أهل السنة فإنهم يؤمنون بعموم مشيئة الله سبحانه وتعالى، وأن الله عز وجل شاء الخير لذاته، وشاء الشر لغيره، أي: لخير مقصود في غيره.

والمرتبة الرابعة: (الخلق): فالله عز وجل خلق الخلق كما قدره، وهو سبحانه وتعالى خلق العباد وأعمالهم، وخلق الخير والشر.

أما فعل الله وصفته التي هي الخلق، فذلك خير محض، وأما المخلوقات فمنها ما هو خير محض، ومنها ما هو خير راجح، ومنها ما هو شر راجح، وفيه خير مقصود ليس لذلك الشر لكن لغيره.

مثال ذلك: أن الله عز وجل قدر المرض على أكثر الناس، وهذا بالنسبة لهم شر لكنه مقصود لغيره، أولًا: لتكفير الذنوب. ثانيًا :للاعتبار. ثالثًا :أن يرجع الى الله سبحانه وتعالى...

هذه بعض الحِكم من تقدير المرض، ولا يجوز أن نقول: أن الله تعالى قدر شرًّا محضًا؛ فإن الشر المحض عبث، والله جل وعلا منزه عن منزه عن العبث.

قوله: (المَقْدُورِ أَيْقِنْ) المقدور: الواقع لا محالة، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾.

أَيقِنْ: آمن إيمانًا جازمًا لا شك فيه ولا تردد.

وعندنا قاعدة: [باب العقيدة يبنى على اليقين ولا يصلح فيه الظن]، ولذلك المنافق عند أن يسأل في قبره: من نبيك؟ فيقول: (سمعت الناس يقولون محمد).

ما هو متيقن إنما يظن ظنًّا، فيضرب حتى يغوص في الأرض.

قوله: (فإِنَّهُ دِعَامَةُ) دعامة بمعنى: عمود وأساس.

فالإيمان بالقدر من أركان الإيمان الستة، وهو يعتبر أساسًا لصحة الإسلام، وقد جاء من حديث أبي بن كعب وزيد رضي الله عنهما وغيرهم أن النبي ﷺ قال: (وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ).

قوله: (عَقْدِ الدِّينِ) شبه الدين بالبناء المعقود، والعقود معروفه إلى زماننا، وهذا العقد إنما يقوم على أعمدة، فإذا ذهب عمود ذلك العقد سقط، فكذلك إذا فسد إيمان الشخص بالقدر فسد دينه، وأما إذا أنكر القدر بالكلية فإن ذلك كفر واضح.

قوله: (والدِّينُ أفْيَحُ) الدين واسع شامل لكل خير في الدنيا والآخرة، فيشمل أركان الإسلام وأركان الإيمان وأركان الإحسان.

الدين واسع لكن من أعظم أركانه الإيمان بالقدر، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾

٢٢- (وَلا تُنْكِرَنْ جَهلًا نَكِيرًا ومُنْكَرًا) ينهاك أن تنكر وتجحد مسألة منكر ونكير، وفتنه القبر، ونعيم القبر وعذاب القبر، وهؤلاء الذين ينكرون هذه المغيبات إنما حملهم على ذلك الجهل، الجهل المركب أو الجهل البسيط، أو الهوى، قال الله جل: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلِهِ﴾ وقال: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾

ومن عقيدة أهل السنة: الإيمان بالغيبيات، وهذا يعتبر من أصول الإسلام العظيمة، ﴿الم ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتقين الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾

فمن عقيدة أهل السنة الإيمان بما صح في الكتاب والسنة من الغيبيات.

أما العقلانيون من المعتزلة ومن تبعهم فينكرون كثيرًا من الغيبيات، ما هي حجتهم؟

قالوا: حجتنا أن العقل ما أثبتها.

فينكرون فتنه القبر ونعيم القبر و عذاب القبر، وينكرون صفة الصراط صفة الحوض وصفة الميزان، ونحو ذلك.

أما بالنسبة للأشاعرة فهم في باب الغيبيات أحسن حالًا من المعتزلة.

انتبه لهذه الفائدة:

(المعتزلة في الجملة شر من الأشاعرة، وعند التفصيل نقول: المعتزلة شر من الأشاعرة في باب الأسماء والصفات؛ لأن الأشاعرة تأولوا والمعتزلة أنكروا وجحدوا، وكذلك شر من الأشاعرة في باب الغيبيات؛ لأن الأشاعرة أثبتوا أكثر الغيبيات في الجملة، وبعض المعتزلة أنكروا كثيرًا منها، وكذلك شرمن الأشاعرة في باب الإمامة والصحابة والتكفير؛ فإنهم يرون الخروج على الحاكم المسلم، ويعدون هذا من أفضل أصولهم، ويسمونه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما بالنسبة للصحابة فيطعنون في جماعه منهم.

أما بالنسبة للتكفير فإنهم على مذهب الخوارج، يكفرون صاحب الكبيرة ويحكمون عليه بالخلود في النار، وإن كانوا يسمونه في الدنيا فاسقًا. ويعاملونه كمعامله المسلم في الجملة، لكنهم يحكمون عليه في الآخرة بالنار.

وأما الأشاعرة فإنهم شر من المعتزلة في باب الإيمان، فإن الأشاعرة من غلاة المرجئة، والمرجئة شر من الوعيدية، لأن الوعيدية يأخذون الدين بالشدة.

وأما المرجئة فإنهم يأخذون الدين بالتمييع، حتى قالوا: إن المعاصي لا تنقص الإيمان.

فتساهلوا في باب الذنوب والمعاصي والانحراف، وهم شر من المعتزلة في باب القدر، فإنهم في باب القدر جبرية، حتى إنهم ليقولون: إن الله تعالى أجبر الإنسان على فعل الذنب.

بل من عقائدهم التي هي أخبث العقائد أنهم يقولون: إن الفاعل حقيقة هو الله.

فيلزم من قولهم أن فاعل المعصية ومباشر المعصية هو الله سبحانه وتعالى، وقد التزم بهذا كثير منهم وصرحوا به، لا سيما غلاة المتصوفة منهم.

وهم شر من المعتزلة في باب النبوات، وتفصيل ذلك سيأتي في الكتب المطولة).

ومنكر ونكير: أسماء ملَكين يرسلهم الله عز وجل على العبد في قبره يختبرانه: (من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟)، وقد صحت هذه التسمية في حديث أبي هريره وهو عند الترمذي.

وأما السؤال فجاء في أحاديث كثيرة: عن أنس والبراء وأبي هريرة وعائشة وغيرهم.

والسؤال يعم جميع الناس وجميع الجن، ما عدا الأنبياء والرسل لماذا؟ لأن السؤال يوجه للناس عن أنبيائهم ورسلهم، وكذلك يستثنى المرابط والشهيد لصحت الأدلة في ذلك، لأن النبي عليه الصلاة والسلام لما ذكر المرابط قال: (وأَمِنَ مِنَ الفَتَّانِ)، أي: لا يُختبر في قبره.

وأما الشهيد فإنه عليه الصلاة والسلام قال: (كفَى ببارقةِ السُّيوفِ على رأسِه فتنةً) والصحيح أن الأطفال لا يختبرون لأن التكليف مرفوع عنهم.

قوله: (وَلا الْحوضَ) ولا تنكر الحوض.

الحوض: مجمع الماء، والمقصود الحوض هو نبينا عليه الصلاة والسلام الذي يصب فيه نهر الكوثر، يظهره الله عز وجل يوم القيامة في أرض المحشر، وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

في الكتاب ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾

وأما من السنة فأحاديث كثيره تزيد على خمسين حديثًا.

مِمَّا تَوَاتَرَ حَدِيثُ: مَنْ كَذَبْ ... وَمَـــنْ بَنَى لله بَيْتًا وَاحْتَسَبْ

وَرُؤْيَةٌ شَفَاعَةٌ وَالْحَـــوْضُ ... وَمَسْحُ خُفَّيْنِ وَهَذِي بَعْــضُ

فنؤمن بالحوض وبصفاته، وأن طوله مسيرة شهر، وأن كيزانه عدد نجوم السماء، وأن مائه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأن من شرب منه لا يظمأ بعدها أبدًا.

والأقرب والله أعلم أن الحوض يكون بعد خروج الناس من جسر جهنم، فإن الله عز وجل يحشر الناس أولًا إلى الجسر، ثم يبدِّل هذه الأرض والسماء، أي: يغير صفتها، فـ(يبدِّل) بتشديد الدال تغيير الصفات. ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ ثم يخرج الناس إلى الأرض بعد تغييرها وتسويتها، وقد أوجد الله سبحانه الحوض أمامهم، فيشرب منه المؤمنون والموحدون من جميع الأمم.

يشربون من حوض نبينا عليه الصلاة والسلام، أو إن لكل نبيٍّ حوضًا تشرب منه أمته.

قوله: (والمِيزانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ) ولا تنكر الميزان.

والميزان: ما توزن به الأعمال، وهو ميزان حقيقي له كفتان عظيمتان وله لسان، وهو الذي يكون بين الكفتين.

قال الحسن البصري: (وله خيطان الخيط الذي يحمل الكفتين).

أما بالنسبة للكفتين واللسان فبالإجماع.

دليل ذلك حديث البطاقة وغيره: قال: (فتوضع في كِفة وتوضع الصحف الأخرى في كِفة).

دليل أن له كفتين.

والميزان ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وحديث أبي هريرة في الصحيحين: (كَلِمَتانِ خَفِيفَتانِ علَى اللِّسانِ، ثَقِيلَتانِ في المِيزانِ، حَبِيبَتانِ إلى الرَّحْمَنِ: سُبْحانَ اللهِ العَظِيمِ، سُبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ).

فنؤمن بالميزان، ونؤمن بالصفة التي وردت، وما زاد على ما ورد فإننا نقول له كيفية يعلمها ربنا سبحانه وتعالى.



[إثبات الشفاعة]

٢٣ - وقُـلْ يُخْـرِجُ اللهُ العَظِـيمُ بِفَضـلِهِ مِـنَ النـارِ أَجْسـادًا مِـنَ الفَحْـمِ تُطْـرَحُ
٢٤ - عَلَى النَّهرِ فِي الفِـردوسِ تَحْيـا بِمَائِـهِ كَحِـبِّ حَميـلِ السَّـيْلِ إِذْ جَـاءَ يَطْفَـحُ
٢٥ - فـإِنَّ رَسُـولَ اللهِ لِلخَلـقِ شَـافِعٌ وقُـلْ فِي عَـذابِ القَـبرِ حَـقٌّ مُوَضَّـحُ

الشرح:

هذه الأبيات في إثبات الشفاعة، والشفاعة الى الله تعالى هي الدعاء.

فالرسل والأنبياء والصالحون شفاعتهم إلى الله تعالى إنما هي بالدعاء لا غير.

الميت يشفع المصلون له بماذا؟ بالدعاء .

في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (ما مِنْ ميِّتٍ يُصَلِّي علَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ المسلمينَ لا يشركونَ باللهِ شيئًا، يبْلُغُونَ مائَةً، فيشْفَعونَ لَهُ، إلَّا شُفِّعُوا فِيهِ).

ما معنى إلا شُفعوا فيه؟ أي: إلا قُبل دعاؤهم له.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل في الشفاعة: (يَأْتُونَ آدَمَ فيَقولونَ له: اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ، فيَقولُ: لَسْتُ لَهَا، ولَكِنْ علَيْكُم بإبْراهِيمَ عليه السَّلامُ، فإنَّه خَلِيلُ اللهِ، فَيَأْتُونَ إبْراهِيمَ فيَقولُ: لَسْتُ لها ولَكِنْ علَيْكُم بمُوسَى عليه السَّلامُ، فإنَّه كَلِيمُ اللهِ، فيُؤْتَى مُوسَى، فيَقولُ: لَسْتُ لَهَا، ولَكِنْ علَيْكُم بعِيسَى عليه السَّلامُ، فإنَّه رُوحُ اللهِ وكَلِمَتُهُ، فيُؤْتَى عِيسَى، فيَقولُ: لَسْتُ لَهَا، ولَكِنْ علَيْكُم بمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَأُوتَى، فأقُولُ: أنا لَهَا، فأنْطَلِقُ فأسْتَأْذِنُ علَى رَبِّي، فيُؤْذَنُ لِي، فأقُومُ بيْنَ يَدَيْهِ فأحْمَدُهُ بمَحامِدَ لا أقْدِرُ عليه الآنَ، يُلْهِمُنِيهِ اللهُ، ثُمَّ أخِرُّ له ساجِدًا، فيُقالُ لِي: يا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وقُلْ: يُسْمَعْ لَكَ، وسَلْ تُعْطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ). فشفع بالدعاء.

فحقيقة الشفاعة إلى الله تعالى الدعاء كما قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.

ومن أراد الشفاعة بغير هذا الطريقة فقد طلبها بطريقة خاطئة، وبهذا تعرف جهل الذين يقربون النذور والذبائح والدعاء، إلى غير ذلك من الشرك لأصحاب القبور يريدون منهم الشفاعة، فطلبوا الشفاعة بطريقة غير صحيحة.

والشفاعة إلى الله تعالى أقسام:

الأولى: الشفاعة في الدنيا بالدعاء سواء للميت أو لغيره.

الثانية: دعاء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب، فخفف الله تعالى عنه العذاب، فهو أخف أهل النار عذابًا، وهي خاصة بأبي طالب لا تتعداه.

والثالثة: الشفاعة الكبرى، وهي أول الشفاعات الأخروية، يبقى الناس تحت حر الشمس والحساب زمناً طويلاً فيأتون آدم إلى أن يصلوا إلى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيشفع فيأتي الله جل وعلا للحساب، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ يجيء الله عز وجل يوم القيامة من أجل أن يفصل بين الخلق ويحاسبهم.

وهذا هو المقام المحمود، وهي الشفاعة العظمى.

الرابعة: الشفاعة في عرصات القيامة، يؤمر بأناس إلى النار فيأذن الله عز وجل بالشفاعة، فيشفع النبي محمد صلى الله عليه وسلم والأنبياء، ويشفع الصالحون، ويشفع الأفراط، والأفراط هم: الأولاد الذين ماتوا قبل البلوغ، كما جاء في صحيح مسلم: (صِغَارُهُم دَعَامِيْصُ الجَنَّةِ ، يَتَلَقَّى أَحَدُهُم أَبَاهُ - أَوْ قَالَ أَبَوَيْهِ - فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ ، كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنَفَةِ ثَوْبِكَ هذا، فَلَا يَتَنَاهَى حتى يُدخِلَه اللهُ وَأَبَاهُ الجَنَّة).

وهذه الشفاعة لمن استحق النار ولم يدخلها بسبب شفاعة الشافعين.

الخامسة: وهي الشفاعة فيمن دخل النار، إذا حاسب الله عز وجل العباد وعبروا الصراط وسقط بعض المسلمين في النار، ويصل الذين نجاهم الله تعالى إلى القنطرة.

والقنطرة، وهي: موضع بين الجنة والنار. قال في الحديث: (فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الْحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا. فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ...) الحديث.

وكيف يعرفونهم؟ يعرفونهم بآثار السجود.

السادسة: تكون لأناس دخلوا الجنة لكن مرتبتهم نازلة نوعاً ما فيشفع النبي عليه الصلاة والسلام ويشفع الصالحون في رفع درجاتهم.

قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ هذا في أناس آباؤهم في الدرجات العليا والأبناء دونهم أو العكس، أو الزوجات فيشفع الذي في الدرجات العليا لمن في الدرجات الأقل، فيرفعهم الله تعالى إلى درجات من كان في الدرجات العليا.

السابعة: وهي آخر الشفاعات بالنسبة للآخرة، وهي التي يخرج الله سبحانه وتعالى بها من النار من لم تدركهم الشفاعات السابقة. كما في حديث الشفاعة: (فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وشفع النبيون، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا)

ويسمون بالجهنميين بسبب أنهم آخر من خرج من جهنم أعاذنا الله تعالى من جهنم.

٢٣- قوله: (وقُلْ يُخْرِجُ اللهُ العَظيمُ بِفَضلِهِ) هذه الشفاعة من فضل الله سبحانه وتعالى وكرمه وإحسانه، والنار التي يعذب بها أهل التوحيد ليست من جنس العذاب الذي يعذب به المشركون، فعذاب المؤمنين أخف بكثير، ومع ذلك فإن الله تعالى يعذبهم ما شاء.

قوله: (مِن النارِ أجْساداً مِن الفَحْمِ) بعد استكمال العذاب المقدر يأذن الله تعالى للنار أن تأكل هذه الأجساد حتى تصير فحماً.

٢٤- قوله: (تُطْرَحُ عَلَى النَّهرِ في الفِردوسِ) توضع بنهر الحياة في الجنة.

(تَحْيا بِمائِهِ) تدب فيها الحياة مرة أخرى.

(كَحِبِّ حَميلِ السَّيْلِ إذْ جَاءَ يَطْفَحُ) كحِب: بكسر الحاء البذور التي تأخذها الرياح وترميها هنا وهنا، فإذا وقع المطر حملها الماء معه، وهو تشبيه كما في الحديث: (فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْـحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً).

يطفح: تمشي على ظهر السيل، ثم مع مروره يرمي بها في جوانبه شيئًا فشيئًا فتنبت في جوانب السيل كما هو معلوم.

٢٥- (فإنَّ رَسُولَ اللهِ للخَلقِ شَافِعٌ) يشفع النبي صلى الله عليه وسلم فيما يخصه الله تعالى به، كالشفاعة العظمى، وشفاعتهم لفتح باب الجنة، وشفاعته لعمه، ويشارك غيره في بقية الشفاعات.

والله تعالى لا يأذن بالشفاعة إلا للشفعاء الموحدين، ولا يشفعون إلا للموحدين.

وبهذا تعلم جهل من يطلب الشفاعة بطريقة شركية، فإنه يطلبها بالطريق التي تمنع بها الشفاعة، قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾.

قوله: (وَقُلْ فِي عَذابِ القَبرِ حَقٌّ مُوَضَّحُ)

عذاب القبر حق، موضح مبين في كتاب الله عز وجل، وفي سنه رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأجمع عليه أهل العلم والسنة وجمهور الطوائف.

أما القرآن:

فقال الله تعالى في فرعون وقومه: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ يعرضون على النار غُدُوًّا وَعَشِيًّا في قبورهم.

وهناك أدلة أخرى

ومن السنة أدلة كثيرة ومنها:

حديث البراء الطويل في صفه خروج الروح، والقبر وفتنه القبر وعذاب القبر،

ومنها: حديث أبي أمامة عند أحمد، وحديث سمرة في البخاري، في الرؤيا التي رأى فيها النبي عليه الصلاة والسلام عذاب القبر، وهو حديث مشهور.

هذه الأدلة وما يشبهها فيها بيان نعيم القبر وعذابه.

فالنعيم حق والعذاب حق.

والعذاب والنعيم يكون في دار البرزخ، والإنسان لو كشف عن القبر ما رأى شيئًا لماذا؟

لأن ظاهر القبر والتراب الذي نعهده ما يزال من مظاهر الحياة الدنيا، لكن الكيفية وصفة هذا القبر وهذا النعيم والعذاب من شأن الحياة البرزخية.

فلا غرابة ألا يرى على القبر نعيمه ولا عذابه، لأن المظهر هذا مظهر دنيوي، فلا يظهر عليه شيء من أمور البرزخ، إلا ما ندر.

هذا القبر الذي هو ذراع في ثلاثة أذرع يكون للمؤمن مد البصر، وعلى الكافر أشد ضيقًا.

فهذا يدل على أن هناك كيفيات أخرى لهذه القبور، لكن هذه الكيفيات لا تدرك ممن هو على الحياة الدنيا، إنما يدركها من هو في تلك الحياة البرزخية.

كالنائم لا يدرك من حوله تصوراته في منامه.

وبعض المعتزلة تنكر عذاب القبر، لأن عقولهم لا تدركه، ومعلوم أن العقل قاصر في معرفة الغيبيات، ثم أنَّى للعقل أن يدرك حياه غير هذه الحياه إلا ما أخبر الله عز وجل به.



[ذم التكفير والخوارج]

٢٦ - ولا تَكْفُرَنَّ أهْلَ الصَّلاةِ وإنْ عَصَوا فكلُّهُمُ يَعْصِي وذُو العَرشِ يَصْفَحُ

٢٧ - ولا تَعتقِدْ رَأيَ الخَوارجِ إنَّهُ مَقَالٌ لِمَنْ يَهْواهُ يُرْدِي ويَفْضَحُ

الشرح:

٢٦- (ولا تَكْفُرَنَّ) أي: لا تعتقد بقلبك ولا تلهج بلسانك في مسألة التكفير بما هو مخالف للحق، فإن التكفير لا يصح ولا يجوز إلا بدليل صحيح واضح، ومن ذلك تكفير من لا يستحق التكفير.

قوله: (أَهْلَ الصَّلاةِ) وهم المسلمون الموحدون من أهل الكبائر وغيرهم.

فلا يجوز أن يكفرهم بدون حق، والأصل أن الموحد الذي يعمل الكبائر لا يخرج من الإسلام بفعله من الكبائر، ما لم تصل إلى حد الكفر الأكبر.

والدليل قول الله جل وعلا ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ فسماهما بالمؤمنين مع ارتكابهم لكبيرة القتال.

وقال الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ .

فالمؤمن الذي يتكلم بالخير ولا يعمل به على خطر كبير، لكنه بهذا لا يخرج من الإسلام فإن الله جل وعلا قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ناداهم باسم الإيمان، والإيمان هو التوحيد والتوحيد هو الإيمان، وإن كان يوجد بينهما فوارق عند التفصيل.

ومن الأدلة حديث ابن عباس في الصحيحين، وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه خارج الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، مرَّ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على قبرينِ فقال: (إنَّهما ليُعذَّبانِ وما يُعذَّبانِ في كبيرٍ، بلى إنهُ لكبير، أمَّا أحدُهما فكان يسعى بالنَّميمةِ وأمَّا الآخَرُ فكان لا يستنزِهُ مِن بولِه) ثمَّ أخَذ عودًا فكسَره باثنينِ ثمَّ غرَز كلَّ واحدٍ منهما على قبرٍ ثمَّ

قال: (لعلَّه يُخفَّفُ عنهما العذابُ ما لم يَيْـبَسا).

الشاهد أن النبي عليه الصلاة والسلام وضع الجريدة من أن أجل أن يخفف الله عنهما العذاب، لو كانا كافرين بكبيرتهما ما فعل هذا بهما.

والمسلم اذا وقع في أمر دل الدليل على أنه كفر، وقامت عليه الحجه فإنه يكفر، كما هو مفصل في كتاب نواقص الإسلام.

أما تكفير المسلم بغير حق فهذا في حد ذاته من كبائر الذنوب، كما في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أَيُّما امْرِئٍ قالَ لأَخِيهِ: يا كافِرُ، فقَدْ باءَ بها أحَدُهُما، إنْ كانَ كما قالَ، وإلَّا رَجَعَتْ عليه). فباء بإثمها.

وقد ذكر شيخ الإسلام وغيره الإجماع أن التكفير حق محض لله سبحانه وتعالى.

فلا يُكَفَّر أحد إلا بدليل من وحي الله عز وجل، إما من القرآن الكريم وإما من السنة الصحيحة.

وجاء عن عبادة رضي الله عنه في الصحيحين قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأمْرَ أَهْلَهُ، قالَ: إلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فيه بُرْهَانٌ).

بواحاً: واضحًا ظاهراً.

فالتكفير غير مقبول، إلا أن يكون عليه برهان من كتاب الله تعالى، ومن سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، لاحظ فيه لهوى ولا لخصومه ولا لمناهج...

قال الله جل وعلا ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ﴾ والتكفير حكم إلى الله سبحانه وتعالى، يحكم به أهل العلم بكتاب الله تعالى، وبسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

قوله: (وإِنْ عَصَوا) وإن وقعوا في الكبائر في ما دون الشرك .

قوله: (فكلُّهُمُ يَعْصِـي) كل بني آدم خطَّاء إلا من عصم الله جل وعلا، وهم الأنبياء والرسل، فإن الله عز وجل إذا بعث عبداً واصطفاه نبياً أو رسولاً فإنه سبحانه وتعالى يعصمه من كبائر الذنوب، وكذلك من الشرك والكفر من باب أولى، هذا خاص بالأنبياء والرسل.

قوله: (وذُو العَرشِ يَصْفَحُ) وذو العرش :أي صاحب العرش، وهو ربنا سبحانه وتعالى.

وقد ذكر العرش في القرآن الكريم مراراً، ومن ذلك قول الله جل وعلا: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، والعرش يعتبر أكبر المخلوقات، وأفضلها بالنسبة لغير المكلفين والملائكة.

فهو أفضل من الكرسي، وأفضل من السماوات والأرض، أفضل من الجنة وهكذا.

(يَصْفَحُ) يعفوا ويغفر لمن يشاء من أصحاب الكبائر الذين ماتوا ولم يتوب، وكذلك يعذب من شاء منهم.

فأصحاب الكبائر تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء عفا عنهم، وإن شاء عذبهم.

وممن يعفو الله عنهم الرجل الذي أحرق نفسه، كما في مسلم من حديث هرير رضي الله عنه مرفوعًا: « أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ فَقَالَ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا. قَالَ: فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ. فَقَالَ اللهُ لِلأَرْضِ: أَدِّى مَا أَخَذْتِ. فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ فَقَالَ خَشْيَتُكَ يَا رَبِّ - أَوْ قَالَ - مَخَافَتُكَ. فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ».

وفي حديث جُنْدَبٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدَّثَ " أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ " رواه مسلم.

كلاهما وقع في ذنب، فعذب من شاء، وغفر لمن شاء

٢٧- (ولا تَعتقِدْ رَأيَ الخَوارجِ) لا يجوز لك أن تعتقد رأي الخوارج، أي: مذهب الخوارج.

والخوارج: فرقة جدلية تُـكفِّر بالمعاصي وتخرج على أئمة المسلمين وجماعتهم.

خرجت أوائلها على علي رضي الله عنه وكفرته.

فكل من خرج على أئمة المسلمين أو اعتقد ذلك فهو خارجي.

* مؤسسها:

أول ابتداء الفكر الخارجي علي يد ذي الخويصرة التميمي الذي اعترض على النبي ﷺ عند قسمة غنائم حنين، ثم المؤسس الفعلي هو عبد الله بن سبأ المنافق – لعنه الله تعالى – الذي خرج على عثمان رضي الله عنه وسعى في قتله.

ثم ظهرت كفرقه مستقلة بعد صفين، على يد عروة بن جرير وعبد الله بن وهب الراسبي في (٣٧هـ).

وقد ذكرنا في مقدمة هذا الشرح أن الشخص يخرج من السنة إلى البدعة، بأمرين:

الأول: أن يخالف السنة وهي العقيدة الصحيحة.

والثاني: أن يفارق الجماعة، جماعة العلماء والأمراء.

فمن كان على السنة ومع الجماعة، قيل فيه: هذا من أهل السنة والجماعة، ومن خالف السنة أو خالف الجماعة؛ فليس من أهل السنة، وإنما هو من أهل البدع.

والخوارج خالفوا في السنة، وخالفوا في الجماعة.

أما في السنة فإنهم يعتقدون عدم حجية السنة، وكذلك يعتقدون أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ويعتقدون أن صاحب الكبيرة كافر، ومن أصول الخوارج المشهورة الخروج على الحاكم الظالم، وهو ناتج لما قبله، وكان عند المتقدمين أصل خامس وهو تكفير أصحاب الجمل وصفين.

وكثير من المتأخرين منهم في عصرنا لا يقبلون هذا الأمر على تفاوت بينهم

وهؤلاء الذين يعتقدون جواز الخروج على قسمين:

الأول: خوارج: وهم الذين يخرجون لاعتقادهم كفر ولي الأمر المسلم، وكفر أعوانه.

فهؤلاء هم الخوارج الذين وردت الأحاديث في ذمِّهم، ومنهم الإباضية وجماعة التكفير والهجرة وغيرهما.

الثاني: بغاة: وهم الذي يخرجون لأطماع دنيوية، ولأجل قيادة رئاسة وأموال ...

وهؤلاء من أصحاب الكبائر، وتشملهم الأدلة التي في ذم الخوارج تبعًا.

ولا يخفى أن بدعة الخوارج من أكبر الكبائر، فلو أخذنا بمنهج الخوارج وكفرنا صاحب الكبيرة لكفرنا الخوارج؛ لأنهم يرتكبون عدداً من الكبائر.

قوله: (إِنَّهُ مَقَالٌ) رأي ومذهب.

(لِمَنْ يَهْواهُ) لمن يعتقده ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾، ما من مبتدع إلا وحجته الكبرى الهوى.

قوله: (يُرْدِي ويَفْضَحُ) يُردي :بمعنى يهلك ويسقط صاحبه في الدنيا في البدعة، وكذلك يرديه في الآخرة في النار، فيكون في الدنيا مفضوحًا ببدعته وضلاله، وكذلك يكون في الآخرة مفضوحاً بما يحصل له من التنكيل وإظهار بدعته أمام الخلائق.

والله ولا حول ولا قوه الا بالله العلي العظيم .

****

[ذم المرجئة]

٢٨ - ولا تَــكُ مُرْجِيًّـا لَعُوبًـا بِدِينِـهِ إلا إنَّـمَا المُرْجِـيُّ بالـدِّينِ يَمْـزَحُ

الشرح:

قوله: (ولا تَكُ مُرْجِيًّا) ينهاك أن تكون على عقيدة المرجئة.

المرجئة: هم طوائف كثيرة تتفق على إخراج العمل من مسمى الإيمان، ويزيد غلاتهم: إخراج القول، وعمل القلب.

* مؤسس الإرجاء:

جماعة أشهرهم: ذر بن عبد الله المرهبي (ت ٩٩) وتلاه حماد بن أبي سليمان الكوفي، وهو الذي شهره (ت ١٢٠)وتبعهم جهم بن صفوان (ت ١٢٨هـ).

* عقيدتهم:

- إخراج العمل من الإيمان وتحريم الاستثناء فيه.

- القول أن الإيمان لا يتبعض ولا يزيد ولا ينقص.

والمقصود بالعمل: العبادات العملية كالصلاة والزكاة والحج والجهاد وإماطة الأذى عن الطريق...

وهؤلاء المرجئة على قسمين:

الأول: غلاة المرجئة: وهم الذين يقولون: إن الإيمان بالقلب فقط. فيرون أن القول والعمل ليسا من الإيمان، وهؤلاء هم الجهمية والأشاعرة.

الأشاعرة في هذا الباب ترددوا ترديًا كبيرًا.

والقسم الثاني: مرجئة الفقهاء: وهم الذين يقولون: الإيمان قول واعتقاد دون العمل.

أي: يخرجون العمل من مسمى الإيمان، وهذا باطل.

قوله: (لَعُوبًا بِدِينِهِ) وجه اللعب في دينهم أنهم يعتقدون أن إيمان الطائع والعاصي سواء، وهذه العقيدة الفاسدة تحمل الناس على الجرأة على معصية الله عز وجل، وعلى ترك ما أوجب الله عز وجل، وهذا لعب بالدين، لأنه يغري الناس بترك أمورٍ كثيرة من الدين بحجة أنها لا تنقص الإيمان.

هذا المذهب فاسد؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾، وقال الله جل وعلا: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾، وقال: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾، وقال: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

وقال جل وعلا: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾، قال جل وعلا: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللهِ﴾.

مع أن كلاهما من أهل الخير لكن لا يستوي العالم مع غيره، بسبب تفاوت اعتقاداتهم وأعمالهم.

والنبي صلى الله ﷺ يقول: "لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ" متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أي: لا يزني وهو كامل الإيمان الواجب بل هو ناقص الإيمان فاسق.

وكذلك يقول عليه الصلاة والسلام: (سِبابُ المُسلِمِ فُسُوقٌ، وقِتالُهُ كُفْرٌ). انظر كيف تفاوت العصاة فالساب فاسق، والمقاتل أشد فسقًا من الساب.

و قال عليه الصلاة والسلام: (لا يُؤْمِنُ، واللهِ لا يُؤْمِنُ، واللهِ لا يُؤْمِنُ)، قِيلَ: مَنْ يا رسول الله ؟ قَالَ: (الَّذي لا يأْمنُ جارُهُ بَوَائِقَهُ) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

فهذه الأدلة تدل على أن العاصي لا يساوي الطائع، وعلى أن الطائع الذي عنده من الخير أكثر يكون أرفع درجة من الطائع الذي خيره أقل، كشخصين: مجاهد في سبيل الله تعالى، وآخر يقوم على عمارة المسجد الحرام، فالمجاهد أعلى درجة، بسبب تفاوت أعمالهما.

فالذي يقول: إن الناس إيمانهم سواء خالف القرآن الكريم، والسنة النبوية، والعقل والفطرة والإجماع.



[مسائل الإيمان]

٢٩ - وقُـلْ إنَّــما الإيــمانُ قَــوْلٌ ونيَّــةٌ وفِعْــلٌ عَــلَى قَــولِ النَّبــيِّ مُصَــرَّحُ

٣٠ - ويَــنْقُصُ طَــوْرًا بالمعَــاصِي وَتَــارةً بطَاعَتِــهِ يَنْمَــى وفي الــوَزنِ يَــرْجَحُ

الشرح:

٢٩- (وقُلْ إنَّما الإيمانُ قَوْلٌ ونيَّةٌ وِفعْلٌ) هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، أن الإيمان قول واعتقاد وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وهذا الاعتقاد عليه أدلة الكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع والواقع.

قال الله جل وعلا ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيَمَانَكُمْ﴾ أي: صلاتكم، فسمى الصلاة بالإيمان.

وقال الله جلا وعلا: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ﴾.

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في وفد عبد القيس قَالَ: (آمُرُكُمْ بالإِيمَانِ بِاللهِ)، وَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنَّ تُؤَدُّوا خُمُسًا مِنَ الْمَغْنَمِ».

ففسر الإيمان بالقول والعمل، وهذا صريح بأن القول والعمل من الإيمان.

قوله: (عَلَى قَولِ النَّبيِّ مُصَـرَّحُ) يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (الإيمانُ بضعٌ وسبعون شعبةً، أعلاها قولُ لا إله إلا اللهُ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريقِ، والحَياءُ شُعبةٌ من الإيمان).

فقول لا إله إلا الله، إيمان بالقول.

وإماطة الأذى، إيمان بالفعل. والحياء، إيمان بالقلب.

٣٠- (ويَنْقُصُ طَوْرًا بالمعَاصِي)، وَيَنْقُصُ حين يفعل العبد المعاصي، أو يقصر في الطاعات.

(وَتَارةً بطَاعَتِهِ يَنْمَى) إذا أقبل على الطاعات فإنه ينمى، أي يزيد ويعظم.

(وفي الوَزنِ يَرْجَحُ) ويرجح في ميزان صاحبه. ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْن﴾ موازينه: أعماله الصالحة.

وقد ذكر الله عز وجل الزيادة في الإيمان في ستة مواضع بالنص في كتابه الكريم، ومن ذلك أن الله جل وعلا قال في سوره الفتح: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾، وقال الله جل وعلا: ﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾.

والأدلة في هذا الباب كثيرة.

وأما النقصان: فأدلة الزيادة تدل على النقصان، لأن ما زاد أمكن أن ينقص كما في حديث أبي سعيد أنه النبي صلى الله عليه وسلم قسم الناس إلى ثلاثة من أقسام: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِه، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ).

فجعل من يغير بيده من أصحاب الإيمان القوي، وجعل من يغير بقلبه من أصحاب الإيمان الضعيف، وهذا مصرح به في الحديث الذي رواه مسلم أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ من المؤمنِ الضعيفِ).

المؤمنون يتفاوتون قوة وضعفاً، وكذلك الكفار يتفاوتون في زيادة كفرهم، قال الله جلا وعلا. ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ فالكفر يزداد بزيادة أسبابه.

وقال جل وعلا: ﴿لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾.

وأيضًا لا يجتمع الكفر والشرك الأكبر مع الإيمان بالله تعالى، وأما بالنسبة للذنوب والكبائر دون الكفر الأكبر فإنها قد تجتمع مع الإيمان في قلبِ واحد مسلم.

فإن الله عز وجل قال:﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلوا﴾ فوُجد بهم الإيمان ووُجد فيهم العصيان، ومن لم يقل بذلك لجأ إلى التكفير أو الإرجاء.

وكذلك أدلة أخرى كثيرة.

وهذه المسألة مجمع عليها عند أهل السنة، نقل الإجماع الأوزاعي وأحمد وأبو حاتم والبخاري وغيرهم.

أما الذين يقولون لا يزيد ولا ينقص، وهم (الخوارج والمرجئة) فإن أصل ضلالهم أنهم قالوا: إما أن يثبت الإيمان جملة أو أن يذهب جملة.

فالخوارج قالوا: قد ثبت بالأدلة أن من عصا نقص إيمانه، ومن نقص منه إيمانه فقد ذهب بالكلية فهو كافر.

وأما المرجئة فإنهم قالوا: قد ثبت بالأدلة أن من عصا لا يزال مؤمنًا، ومن ثبت إيمانه فإن ذلك يدل على أن إيمانه باقٍ كله.

فمن هنا حصل الانحراف عند المرجئة والخوارج؛ بسبب هذه المسألة التي بينها الله جل وعلا في كتابه، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لكن أهل البدع يبدؤون يؤصِّلون، ثم بعد ذلك يبحثون من الأدلة ما يظنون أنها توافق أهواءهم، فإن لم يجدوا حاولوا أن يلووا أصول الكتاب والسنة إلى ما يريدون.

فالحمد لله تعالى على توفيقه إلى المعتقد الصحيح، والله المستعان

****

[نصيحة في الختام]

٣١ - وَدَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ وَقولَهُم فَقَولُ رَسُولِ اللهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ
٣٢ - وَلا تَكُ مِن قَومٍ تَلَهَّوْ بِدِينِهِم فَتَطْعنَ في أَهلِ الحَدِيثِ وتَقْدَحُ
٣٣ - إذا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يا صَاحِ هذِهِ فَأَنْتَ عَلى خَيْرٍ تَبِيتُ وتُصْبِحُ

الشرح:

٣١- (وَدَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ وَقولَهُم) أي: اترك واحذر وتباعد عن آراء الرجال التي ليست مبنية على الدليل، وهذا يسمى بالرأي المذموم، وهكذا أقوالهم ومعتقداتهم التي ليست مبنية على الدليل.

قال الأوزاعي وقد صح السند إليه: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، فإن الأمر ينجلي وأنت على صراط مستقيم.

وقد جاء عن عمر رضي الله عنه أنه قال: أصحاب الرأي أعداء السنن.

وهؤلاء الذين يتبعون آراءهم هم كما قال الله جل وعلا: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾.

والظن : يختلف من شخص إلى آخر، وهوى الأنفس أيضًا يختلف، والرأي يختلف، فلذلك تجد أصحاب الآراء مختلفين متفرقين، يبدأون بمذهب واحد وينتهون بعشرات المذاهب.

وأصحاب الرأي طوائف كثيرة، منهم الطوائف الكافرة كالبوذية والهنادكة والنصارى واليهود والمجوس وغيرهم.

ومنهم طوائف مسلمات كأهل البدع إذا حُوجِج بالشرع، قال: أنا أرى كذا، وأحب كذا.

فيجعل الدين بالرأي، وإذا أردت أن تقنعه بالشرع يأخذ في الجدل كما في الترمذي من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ).

وجاء عن عمر بن عبد العزيز بإسناد صحيح أنه قال: من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل.

غرضًا للخصومات: يجادل هذا ويجادل هذا، وينظر في رأي هذا وفي رأي هذا.

أكثر التنقل :أي: من مذهب إلى مذهب، ومن عقيدة الى عقيدة.

قوله: (فَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ) أي: ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وما هو الذي جاء عنه؟ القرآن الكريم والسنة النبوية.

فالكتاب والسنة أولى بالأخذ وأولى بالإتباع، قال الله جل وعلا : ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾، وقال الله جل وعلا: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾، وقال الله عز وجل بعد ذكر طاعة الله تعالى وطاعة رسوله: ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ أي: خير لكم في الدنيا والآخرة، وأحسن عاقبة في الدنيا وأحسن عاقبة في الآخرة.

(أَزْكَى وَأَشْرَحُ) أزكى، أي: أفضل وأطهر وبه تزكو النفوس وتصلح.

وَأَشْرَحُ: أي أشرح للصدر، وهذا كقول الله جل وعلا: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾

فالمسلم الذي على الحق تجد صدره منشرحًا بالحق، وأما أصحاب الباطل فإنهم في اضطراب وقلق وضيق، وعدم اطمئنان إلى هذه المذاهب التي هم عليها.

وهذا فيه مدح لأهل الحديث ولأهل السنة الذين يقتفون آثار الرسول عليه الصلاة والسلام.

٣٢- (وَلا تَكُ مِن قَوْمٍ تَلَهَّوْ بِدِينِهِم) ينهاك أن تكون من هؤلاء القوم، أو مجالسًا لهم، أو ترغب في صحبتهم، وهم القوم الذين جعلوا دينهم لهواً ولعباً، يتساهلون فيه فلا يقيمونه، ولا يحافظون على حدوده، ويذهبون بعد الذنوب والمعاصي، أو بعد البدع والأهواء، هكذا يلعبون بالدين ما جاء منه فذاك وما ذهب منه لا يبالون به.

قوله: (فَتَطْعنَ في أَهَلِ الحَدَيثِ وتَقْدَحُ) يطلقون ألسنتهم على أهل الحديث والسنة، ويقدحون فيهم قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ يستهزئون ويسخرون.

وهذه عادة المنحرفين والمبتدعين والمفلسين من الخير، قال أبو حاتم: علامة أهل البدع الطعن في أهل الأثر.

وقال بعض السلف: أهل البدع إذا انقطعت حجتهم تروَّحوا بالطعن في أهل الحديث.

ما معنى تروحوا :أي يطلبون راحة أنفسهم وتخفيف حقدهم بالطعن في أهل الحديث.

وقال أحمد بن سنان والسند صحيح: ما من مبتدع في الدنيا إلا وهو يبغض أهل الحديث.

وأهل الحديث هم الذين يعتنون بحفظ الأحاديث ورواياتها، وكذلك يعتقدون ما في الكتاب والسنة، وهم أهل السنة، وهم السلفيون، وهم أهل الأثر، المعنى واحد، وهم الطائفة المنصورة التي لا تزال على الحق إلى قيام الساعة.

٣٣- (إذا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يا صَاحِ هذِهِ) هذه العقيدة المذكورة في هذه المنظومة ونحوها، (الدَّهْرَ) طول عمرك حتى تموت على تلك العقيدة المباركة.

(صَاحِ) يا صاحبي، يتلطف بالعبارة ويتودد بالخطاب من أجل أن تقبل هذه النصيحة من هذا الناصح المشفق الصادق.

(فَأَنْتَ عَلى خَيْرٍ تَبِيتُ وتُصْبِحُ) تبيت على خير تصبح عليه، وتبعث عليه.

وجاء رجل إلى الإمام أحمد فقال: يا إمام نسأل الله أن يميتنا وإياك على الإسلام.

قال: وعلى السنة.

فكم شخص مات على الإسلام لكنه مات على بدعة.

وحديث أبي سعيد رضي الله عنه في البخاري أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (إِنَّما الأعمالُ بالخواتيمِ).

وقد جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه بإسناد حسن عند ابن أبي زمَنين في كتابه السنة أنه قال: كنا لا نقول في الرجل شيئًا حتى ننظر على أي حال يموت.

من مات على السنة فيرجى له الخير، وإن مات على البدعة فيخاف عليه من عذاب الله سبحانه وتعالى.

وفي الختام، ونسأل الله تعالى حسن الخاتمة.

فهذه منظومة عظيمة مختصرة، وقد رتبها المؤلف ترتيبًا حسنًا، وهي جديرة والله بالحفظ والشرح والتدريس، وكذلك لأن يلقن الأطفال هذه المنظومة، وتوزع على طلاب المدارس والجامعات.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل العقيدة، وأن يتوفانا على الإسلام والسنة.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبة

تم بحمد الله تعالى

